

مفاهيم القرآن

(46) ما يصدر من الإنسان فهو مخلوق له وهو خالقه، وهذا ما يعبر عنه بالتوحيد في الخالقية. ويستنتج منه أمران: أ: إذا كان فعل الإنسان مخلوقاً لله سبحانه لا للإنسان فيكون مجبوراً في فعله لا مختاراً. ب: إذا كان فعل العبد حسنة وسيئته فعلاً لله سبحانه ومخلوقاً له، فتكون المواقظة على أفعال العبد خلاف العدل والقسط، لأن الخالق هو الله سبحانه والمجزي هو العبد، مع أنه لا دور له في فعله. أقول: إننا رتبنا إليه على التوحيد في الخالقية يخالف الفطرة أو لا، فإنها تشهد على حرية الإنسان في أفعاله، ويخالف أهداف الأنبياء ثانياً. فإذا كان الإنسان مجبوراً فيما يفعل ويترك، كان بعث الأنبياء ودعوتهم إلى الطريق المستقيم أمراً لغواً، غير مؤثر في هداية الإنسان، بل تعدى عامة القوانين الجزائية في الإسلام أمراً لغواً وظلماً في حق المرتكب، لأنه لم يقترب المعاصي والسيئات عن اختيار، بل عن جبر وسوق من الله سبحانه إليه إلى العمل، وهو تعالى هو الفاعل الخالق لأعمالهم، لا العبد فيكون تعذيبه مصداقاً لقول الشاعر: غيري جنى وأنا المعاقب فيكم * فكأنني سبابة المتندم لكن الشاعر مخطئون في تفسير التوحيد في الخالقية أو التوحيد الأعلى الذي هو من المعارف الإسلامية التي صدع بها القرآن الكريم. إن التوحيد في الخالقية يُفسر بأحد تفسيرين: أ: أن كل ما في الكون من الظواهر الطبيعية والفلكية وغيرها مخلوق لله